اسرائيل وهو من دعاة الحرب : « قال رامي هامسا ، وكأنه يخاطب نفسه : « لن تصدق ، انني أشتهي اندلاع الحرب ، لقد سئمت كل شيء . الاكل ، والسهرات ، والسرير . انني بحاجة الى شيء يدفعني الى الامام ... انني بحاجة ماسة الى الحرب، فأنا لا استطيع ان اقرر شيئا بالنسبة لي . صدقني لا قوة لي على ذلك . علي أن اقرر ماذا افعل ، أي مهنة اختار ؟ ومن هي المراة التي اتزوجها ؟ وانا ... » (ص ١)

ان الحرب بالنسبة له هي خلاص وحل لمشاكله الشخصية. وليس هذا فحسب انها كذلك حل لمشاكل الدولة في نظره : « .. الحرب فقط هي التي تعمل هذا كله . لولاها لبقينا كما كنا ، نبكي من البطالة ، ومن الهجرة ، ومن الانحطاط الاخلاقي ، ومن الركود الاقتصادي ، ومن تخفيض قيمة الليرة ، ومن وقاحة الجيران » . (ص ٢٠) . ولكنه في النهاية وبعد أن ذاق أهوال الحرب ومآسيها ، يكرهها. ولكنه يدفع حياته ثمنا لعقيدته هذه في أحد الكمائن .

وهناك « ايتساك » رجل سلاح الاشارة الذي اشترك في حرب عام ١٩٤٨ ، وخاض حرب سيناء ١٩٥٦ ، ويستعد لخوض غمار حرب ثالثة كمحارب ذي خبرة . ان هذا الرجل هو انسان هادىء وطيب القلب ، ويؤدي واجبه .

وهناك « ليفني » الذي كان يكره الحرب أكثر منهم جميعا . « لقد كانت الحرب بالنسبة له كارثة قوضت أركان عالمه ، لا لانها أخلت بنظام حياته الرتيبة ، الحياة العريقة لابن الاطباء الذي انهى دراسته منذ مدة وجيزة، بل لانها لمست أكثر نقاطه حساسية — وهي حياة الانسان (ص ١٥). لقد كان يكرر دائما قوله: « كيف أستطيع قتل انسان، في الوقت الذي كرست فيه حياتي لانقاذه » (ص ١٥) . وكان ليفني هذا هو الذي جسد لرفاقه في الوحدة معنى الحرب ومعنى الاستعداد لها ، وتوقع الاهوال البشعة التي ستنجم عنها : « لم يقض ليفني أيامه الاخيرة قبل الحرب مثلنا ، في حب أخير ، ومع أناس يحبون بعضهم . لقد حدثنا عن المستشفيات الكبيرة التي أخليت من المرضى ، وعن غرف العمليات ، وعن الممرات التي غصت بالاسرة ، وعن بنك الدم الذي جمع آلاف الزجاجات . وعن تجهيزات أخرى دقيقة وموزونة بمنطق واحصاء دقيق لعدد القتلى والجرحى » (ص ١٦) . وكانت هذه التجهيزات الدقيقة والمنطقية مصدر فزع لمن على الجبهة في انتظار لحظة اعطاء اشارة البدء بالقتال . ويقول البطل القاص عن الانطباع الذي اجتاحه لدى سماعه عن التجهيزات الدقيقة : « حدثني ايتساك مرة ، انه في حرب ١٩٤٨ ، وقبل أن تهجم فرقته على القسطل وتحتلها ، سمعوا ضربات معول ، فذهبوا ليلا في صف طويل ، وإذا برجال المستوطنة الزراعية يحفرون قبورا لابنائهم الذين ذهبوا الى المعركة ! » .

وهناك « داني ران » المهندس الكيماوي (٣١ سنة) الشاب البسيط ، الذي لم يغير علمه وثقافته من طريقة تفكيره المستقيمة ، والذي يحب زوجته حبا خجولا ومكبوتا . انه يقضي وقته على الجبهة وهو في شوق جارف الى بيته وزوجته وأطفاله : « في الاسبوعين اللذين انقضيا منذ أن جندنا حتى بدء المعركة ، ذاب داني كالشمعة . رايت العذاب على وجهه . كان يغني كالجميع ، ويضحك مع الجميع ، ولكن كان هناك غشاء من الحزن والشوق يلازمه » .

ثم هناك من يحتوي هذه الشخصيات جميعها ويراقبها ويعايشها ، انه البطل القاص ، ذلك القائد الشاب الذي لم يخض الا حربين ثم اصبح « أبا » للجميع ، وهو ما زال بعد في الثالثة والثلاثين من عمره . ولكنه يشعر أن الحرب جعلته أكبر من ذلك بكثير : « لقد كبرت مع ابناء جيلي لدرجة انه بامكان ابن الحادية والعشرين ان يدعوني ببساطة « أبي » ، وحتى دون أن يبتسم » (ص ٢) . وهو انسان لا يختلف عنهم في مخاوفه وفي